

# فورين بوليسي: ماذا تخبرنا المدن الجديدة في السعودية ومصر عن مستقبلها؟

الأربعاء 24 أبريل 2024 01:47 م

تُبنى مدينتين استثنائيتين في الشرق الأوسط في مصر، بدأ السكان الأوائل بالانتقال إلى العاصمة الإدارية الجديدة التي كانت قيد الإنشاء منذ ما يقرب من عقد من الزمن.

وتفتخر المدينة التي لم يتم تسميتها بعد بمبانيها الأثرية، بما في ذلك أكبر كنيسة قبطية في المنطقة وأكبر مسجد في البلاد ووزارات عملاقة مستوحاة من الهندسة المعمارية المصرية قبل الإسلام وفي الوقت نفسه، راهنت السعودية على مدينة أقل تقليدية بكثير من غير الواضح ما إذا كان سيتم بناء البنية المستقبلية العملاقة في الصحراء، والتي تسمى "الخط"، أم لا، لكنها اكتسبت بالفعل مكانة راسخة في المخيلة العالمية.

وقالت مجلة "فورين بوليسي" في تحليل كتبه أستاذ السياسة بجامعة برينستون جان فيرنر مولر: "بالنسبة للبعض، يعد إعادة تشكيل الأمة طموحاً كبيراً حقاً؛ وبالنسبة للآخرين، فهو جهد جنون العظمة يسعى إلى صرف الانتباه عن واقع الاستبداد الوحشي". وتابعت: "تكشف المدينتان عن استراتيجيات مختلفة للغاية حول كيفية محاولة الأنظمة الاستبدادية دعم الشرعية في القرن الحادي والعشرين. يعد عبد الفتاح السيسي، المستبد القديم التكنوقراطي، بالتحديث، على نفس النحو الذي فعلته العديد من الأنظمة البيروقراطية الاستبدادية في القرن العشرين".

على النقيض من ذلك، لا يكتفي ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان بالترويج لنوع من خيال الخيال العلمي فحسب، بل يناشد بذكاء الحساسيات العالمية، وحتى المناهضة للثقافة، في سعيه لإعادة صياغة نظامه في الداخل والخارج.

لقد أثبتت حكومة السيسي أنها أكثر قمعية بكثير من نظام مبارك الذي حل محله بعد فترة الربيع العربي وبعيداً عن "النظام"، كان ادعائها بالشرعية يتلخص في التحديث والفوائد المادية: وهي تبني مجموعة من المدن الجديدة، مثل العلمين الجديدة على ساحل البحر الأبيض المتوسط، في محاولة واضحة لجذب السياح الأثرياء. إن المبرر الرسمي للعاصمة الجديدة التي لم يذكر اسمها - والتي ستتكلف ما يقدر بنحو 59 مليار دولار في بلد يعاني بالفعل من مستويات خطيرة من الدين - هو تخفيف معاناة القاهرة، إحدى أكثر مدن العالم تلوثاً وازدحاماً. ولكن يبدو أيضاً أن لها غرضاً سياسياً: فمثلها كمثل نابييداو، العاصمة التي أنشأها الجيش في ميانمار، تقع في مكان آمن بعيداً عن الجماهير الحضرية الجامعة.

المدينة الجديدة، التي بنيت على بعد 30 ميلاً شرق القاهرة، لا تكاد تكون مميزة من الناحية الجمالية وهي موجودة في الصحراء، حيث توجد ناطحات السحاب ومراكز التسوق وما يسمى بالمجمعات الضخمة - وهي في الواقع مجتمعات مسورة - تفصل بينها مساحات كبيرة (على الرغم من الافتقار إلى المساحات الخضراء وصعوبات الوصول إلى المياه، فإن العديد من هذه المجتمعات تحمل أسماء مثل "بالم هيلز" و"بوتانيكا").

وتحتوي المدينة أيضاً على منطقة تجارية مركزية بناها مهندسون صينيون. بذلت مصر بعض الجهود الخجولة لمحاكاة دبي من خلال بناء ما يمكن اعتباره صيغ التفوق على الورق، بما في ذلك أطول سارية علم في العالم، والتي قد تجتذب أو لا تجتذب الأجانب. إن النهج الذي يتبعه السيسي هو نهج تكنوقراطي نموذجي، يطبقه جيش عازم على الاستيلاء على حصص أكبر من أي وقت مضى في الاقتصاد.

ولفتت فورين بوليسي إلى أن السرية تحيط بميزانية الجيش؛ فمؤسساتها، من الأسمت إلى المواد الغذائية، لا تزال غير مدققة ومعفاة من الضرائب، وفقاً للمراقبين الخارجيين ومن الممكن أن يوفر المجندون عمالة رخيصة، كما أن وجود ضباط الجيش في العديد من مجالات الحياة الاقتصادية المختلفة يعني أن الدولة قادرة على اكتشاف السخف في وقت مبكر. هذا النموذج برمته، والذي تم وصفه على أنه جيش مرتبط به دولة، كان من الممكن أن يتعرف عليه المراقبون في النصف الثاني من القرن العشرين.

ومع ذلك، على الرغم من أن الاستبداد البيروقراطي لم يمت، إلا أنه ليس اتجاهها رئيسياً. إن العالم ينتعد عن الأنظمة القمعية العلنية، مثل نظام السيسي، التي لا تخجل من سمعتها السيئة في انتهاكات حقوق الإنسان، وهو ما يسميه عالما الاجتماع سيرجي جوريف ودانيال تريسمان "ديكتاتوريات الخوف". وفي مكانها، نشهد المزيد من "الديكتاتوريات المضللة"، أو الأنظمة الاستبدادية التي تتلاعب بمهارة بالرأي العام في الداخل والخارج لتبدو منفتحة وحديثة. ومن المؤكد أنهم يحتفظون بالقمع احتياطياً: فكما أظهر الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، يستطيع المستبد الذي يريد أن يعترف به الغرب كزعيم ديمقراطي أن يتخلى عن كل التظاهر ويقرر إغلاق أي وسيلة إعلام معارضة متبقية وحبس المنتقدين. ومع ذلك، أظهر جوريف وتريسمان تجريبياً أن المستبدن اليوم يستخدمون قدراً أقل من العنف بشكل عام؛ لقد كان تحولاً من الإرهاب إلى العلاقات العامة.

وذكرت فورين بوليسي أنه يبدو أن محمد بن سلمان، المروج الرئيسي لـ "الخط"، يعرف أنه في حاجة ماسة إلى علاقات عامة أفضل على المستوى الدولي، يظل اسمه مرتبطاً باسم جمال خاشقجي، الصحفي والمعارض الذي قُتل وقُطعت أوصاله في القنصلية السعودية في إسطنبول عام 2018. ولتغيير صورة السعودية، ذهب محمد بن سلمان إلى ما هو أبعد من الوعود التقليدية بالتحديث من أعلى إلى أسفل. وتشمل خطته الإصلاح الاقتصادي، "رؤية 2030"، مشاريع تتراوح بين السياحة الفاخرة والاستثمارات في الطاقة الخضراء والرياضة. تتطلب هذه التغييرات حث السعوديين على اكتساب مهارات جديدة - وهذا هو أحد الأسباب التي تجعل النظام يستورد العمالة الغريبة لبناء صناعة السينما، على سبيل المثال - وجلب المزيد من الشباب إلى القوى العاملة والنقطة هنا لا تتعلق فقط بالعلامة التجارية للدولة، بل وأيضاً ببناء الدولة، حيث من المفترض أن تلهم المشاريع العملاقة الفخر المحلي.

وأكثر هذه المشاريع إثارة للدهشة هو الخط، وهي مدينة خطية من المتوقع أن يبلغ طولها 106 أميال، مع ناطحات سحب متوازية يبلغ ارتفاعها 1640 قدماً وعرضها 656 قدماً. وهو جزء من خطة بقيمة 500 مليار دولار لتطوير "نيوم"، وهي منطقة جديدة في شمال غرب البلاد. وخلافاً للمدن التقليدية المترامية الأطراف، يتم الترويج لمشروع الخط باعتباره صديقاً للبيئة: فمن المفترض أن يكون لعمره الطويل، مع المرايا التي تواجه الصحراء، تأثير ضئيل على البيئة المحيطة؛ لن تكون هناك سيارات - وفي الواقع، لن تكون هناك انبعاثات كربونية على الإطلاق - ولكن بدلاً من ذلك، سيكون هناك قطار فائق السرعة تحت الأرض يسير تحت المدينة بأكملها. ووفقاً لمعرض سعودي في أبايا دي سان جريجوريو في البندقية في عام 2023، فإن الخط سيوفر "مجالاً عاماً في كل مكان"، على الأرجح كجزء مما يروج له محمد بن سلمان على أنه "تعزيز قابلية العيش البشري". وقد تضمن المعرض عالي التقنية، الذي يحمل عنوان "ال عمران

منعدم الجاذبية"، مقترحات مهندسين معماريين مشهورين للبنية الضخمة، من ديفيد أدجاي إلى كوب هيمبلو، الشركة النمساوية التي

صممت البنك المركزي الأوروبي في فرانكفورت

فكرة المدينة الخطية ليست جديدة كان مهندس الطرق السريعة الإسباني أرتورو سوربا إي ماتا رائداً في هذا المفهوم في ثمانينيات القرن التاسع عشر عندما تصور مدينة، مبنية على طول خط الترام، من شأنها تقصير أوقات التنقل وتحقيق أقصى قدر من الصحة والرفاهية في أوائل القرن العشرين، اتبع مخطط المدن الأمريكي صاحب الرؤية إدجار تشامبلس تصميماً خطياً ليشمل الولايات المتحدة بأكملها؛ وكانت مقترحات المدن الخطية بارزة أيضاً في الاتحاد السوفييتي؛ وفي أواخر الستينيات من القرن العشرين، رسم المهندسان المعماريان الأمريكيان بيتر آيزنمان ومايكل جريفز مدينة خطية تربط بين بوسطن وواشنطن

ولكن فورين بوليسي أوضحت أنه لم يؤت أي من هذه المشاريع ثماره حقاً من المؤكد أن الوعود كانت جذابة: وسائل نقل تتسم بالكفاءة وإمكانية توسيع المدينة بسهولة دون توسيعها بطرق غير مخطط لها ولكن لمنع الزحف على وجه التحديد، تم بناء المدن الخطية على مستويات استثنائية من السيطرة: من المفترض أن يصطف الأشخاص الذين يريدون العيش فيها ويظلوا في الطابور لا يعد الخط بتحقيق مدينة خطية في النهاية فحسب كما أنه يلتقط الأفكار التي طورتها المجموعات المعمارية التجريبية آرتشيجرام وسوبر ستوديو في الستينيات كلاهما كانا معروفين بتصميماتهما الرائدة، مثل "مدينة المشي" للأولى، وهي عبارة عن هيكل على أرجل معدنية عملاقة يمكن أن تتحرك بحرية حول الأرض، و"النصب التذكاري المستمر" للأخير، وهو هيكل خطي في الصحراء ومناظر طبيعية أخرى هذا يتنبأ بشكل مخيف بالخط

ومع ذلك، لم ترسم شركتا آرتشيجرام وسوبرستوديو مخططات ليلتقطها المستثمرون أو المستبدون المهتمون بما أطلق عليه المنظر الحضري مايك ديفيس ذات مرة، فيما يتعلق بدبي، "العمران المتخيل". وبدلاً من ذلك، كانت نواياهم تخريبية بالتأكيد كانت الجماعات تنتقد الرأسمالية الاستهلاكية على سبيل المثال، شكك فيلم "النصب التذكاري المستمر" في التحضر الشامل للعالم الذي من شأنه أن يدمر الطبيعة

قال أدولفو ناتاليني، المؤسس المشارك لشركة سوبرستوديو في عام 1971: "إذا كان التصميم مجرد حافز للاستهلاك، فيجب علينا أن نرفض التصميم؛ إذا كانت الهندسة المعمارية مجرد تدوين للنماذج البرجوازية للملكية والمجتمع، فيجب علينا أن نرفض الهندسة المعمارية". عرفت سوبرستوديو نفسها على أنها مناهضة للتصميم ومعادية للهندسة المعمارية باسم مناهضة النزعة الاستهلاكية ومناهضة الرأسمالية ليس من الواضح مقدار العمل الذي تم إنجازه بالفعل على الخط، بغض النظر عما إذا كان المشروع سيتحقق كما هو مخطط له أم أنه سيظل كما أطلق عليه الصحفي جرايم وود "عبادة البضائع الحضرية". تمامًا مثل الرأسمالي المغامر، يبدو أن محمد بن سلمان يراهن على إبداعات مذهلة مختلفة قد ينجح بعضها، والبعض الآخر لا في شهر أبريل، انتشرت تقارير تفيد بأن الهيكل الضخم قد لا يكون ضخماً بعد الآن أو على الأقل ليس في أي وقت قريب وبدلاً من استهداف 1.5 مليون نسمة بحلول عام 2030، أصبح الهدف الآن 300 ألف نسمة، وتم تقليص طول الخط إلى ميل ونصف

وأضافت فورين بوليسي: "ولا يخلو المشروع من الانتقادات، ولا تزال هناك تساؤلات جديدة حول جدواه حتى الآن، لا يوجد قطار يمكنه السفر بالسرعة التي تقترحها مواد العلاقات العامة حول الخط ومن غير الواضح كيف سيضمن المهندسون المعماريون في المدينة السلامة من الحرائق، وكيف ستجول سيارات الإسعاف بدون شوارع علاوة على ذلك، تشير الدراسات إلى أن المدينة الدائرية ستكون أفضل للبيئة يبدو أنه لم يتم توفير الكثير من التفكير فيما يتعلق بالطيور التي يمكنها الطيران إلى جدران المرايا العملاقة، أو الحياة البرية التي لم تعد قادرة على عبور الصحراء، أو الأشخاص الذين يعيشون هناك بالفعل: ما يصل إلى 20 ألفاً من سكان المنطقة الحاليين، وأعضاء قبيلة الحويطات، يمكن أن يتم تهجيرهم وقالت جماعات حقوق الإنسان، إن النظام عاقب منتقدي المشروع بشدة، كما قُتل أحد الناشطين من القبيلة بالرصاص

وختمت فورين بوليسي: "سيكون من الخطأ استبعاد كل ما يحدث في السعودية باعتباره علاقات عامة أو افتراض أن كل ما هو علاقات عامة هو بالضرورة فعال؛ وحتى المقالات التي تربط محمد بن سلمان بـ "السايبانك" أو "الجزيرة العربية الرائعة" تحتوي على اسم خاشقجي درس الحقيقي هو أن الأنظمة الاستبدادية ذات النمط الجديد تحتاج إلى السرد والتلفيق كلما كان المشروع خيالياً، زادت تمكن القصص من بسط الإجراءات وسيفهم الحكام الآخرون هذه النقطة، وسيحدثون - بل وربما يبنون ذات يوم - وفقاً لذلك".

<https://foreignpolicy.com/2024/04/20/saudi-arabia-line-neom-cities-egypt-new-administrative-capital-architecture-autocracy>